بسم الله الرحمن الرحيم

سيرة المصطفى (للسيد الحسني) مقارنة بالسيرة النبوية (لابن هشام) والسيرة الحلبية* (دراسة في المنهج)

الدكتور يوسف طباجة

في البدء : التحية لفلسطين الأبية ..

1

كأي باحث أو كاتب متزن وعلمي يهدف للكشف عن حقيقة ما ، يعلن السيد هاشم معروف الحسني ، وفي مقدمة سيرته عن النبي المصطفى(ص) ، عن الدافع والحافز الذي كان خلف تصديه لموضوع بحثه ، وهو العالم بكثرة من تصدوا من قبله لهذه السيرة العطرة ، حيث يشير في المقدمة إلى بعض الأوائل منهم ومن تعاقب بعدهم ، وإلى فضلهم وإنصافهم حيث يقول : " وتوالت بعد ذلك المؤلفات في السيرة ولا تزال إلى يومنا هذا ، من شرقيين وغربيين..." ، لكننا نلاحظ ونقرأ بين ثنايا كلمات السيد وأحرفها شدة العتب والتأسف على الإنحراف عن خطوات النبي وسيرته وتعاليمه ، بعدها يوضح الكاتب الباحث السبب الرئيسي الذي دفعه وحمله للكتابة وفق نظرية جديدة عمن سبقه .

هذا السبب أو الإشكالية بحسب التعبير العلمي للبحث يرتكز على مسألتين إن لم نقل قضيتين عند السيد هما :

أولاً : الإضافة على سيرة النبي بما ليس منها، إما حباً وهوى، وإما عن حقد وسوء نية.

ثانياً : المحاولة أو المحاولات المقصودة في المؤلفات الأولى لطمس بعض الحقائق والتحيز لأشخاص دونما الاعتماد على المنطق وحوادث التاريخ ، وهذا بيت القصيد عند العلامة الحسني .

أما الهدف ، فيحدده السيد الحسني بوضوح فيقول : "... إبراز بعض جوانبها - السيرة - على واقعها ، وكشف ما الحق بها من زيف وتشويش على يد المحبين والأعداء والحاكمين " على السواء .

وعليه ، أجدني لا أشك للحظة بأن المسألة أو القضية الثانية ، والمرتكزة أو المتلازمة مع المسألة الأولى أو المطروحة من خلالها... كانت لإثارة حق أهل البيت(ع) في سيرة جدهم المصطفى(ص) ، والمسحوبة على السنة النبوية وإشكاليات إسنادها وتدوينها .. لذلك فهو

---

* ١- هاشم معروف الحسني: سيرة المصطفى " نظرة جديدة " دار التعارف ، بيروت ١٩٩٦،

٢- ابن هشام : السيرة النبوية ، دار الجيل ، بيروت د. ت .

٣- علي الحلبي : السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون - انسان العيون - دار المعرفة ، بيروت . د.ت.

يقـول فـي مقدمة كلامه مخاطباً صاحب السيرة : " إن الملايين من المسلمين لا يعرفون عن سـيرتك ورسالتك ... إلا ما ألصق بها من القشور والخوارق والأساطير... " ، مشيراً إلى مفارقة أساسية هي أن الرسول ومن خلال رسالته كان يسعى لأجل الإنسان وسعادة البشرية ، والمستضعفين منهم على وجه الخصوص ، لكن الإنحراف أدى على عكس ذلك ظلماً للإنسان، وجشعاً في السلطة لدى الحاكمين – برأي السيد – كل ذلك باسم النبي وباسم الإسلام* .

٢

اعـتماداً عـلى المنهج المقارن ، وانطلاقاً من المسألتين المحددتين كإشكالية عند الباحث ، نضـع سيرة المصطفى للسيد هاشم معروف الحسني ، في مقابل مؤلفين مشهورين في السيرة هما:

١- السـيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٨هـ) والمعتمد فيها على ابن اسـحاق(ت ١٥١هـ) وهم من الأوائل .
٢- السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤ هـ) .

إن الملاحظة الأولى التي نسجلها هي ابتعاد السيد هاشم عن الإطناب في السرد التاريخي ، مركـزاً عـلى قضايا أساسية وذات أبعاد في سيرة النبي، وذلك خدمة للإشكالية المطروحة ، وتوخياً للهدف المرسوم.

فبيـنما يـبدأ ابن هشام سيرته بسرد نسب الرسول محمد إلى آدم ... ويغوص في أنساب بعض أخيار العرب وأخبارهم .. ، ثم بنسب الأنصار... ليدخل في حادثة الفيل . نجد أن أولى اهـتمامات السيد اتجهت وفي التمهيد للسيرة إلى تحسين صورة العربي قبل الإسلام، مستنكراً الصـورة التي رسمها له بعض المؤرخين (عن الأخباريين) ليقول : " إن الباحث في تاريخهم – أي العرب – لا يجد أكثر من بعض الفوارق بينهم وبين غيرهم من الأمم كالفرس والرومان وغيرهما ".

ويعـلل السيد طباع الجاهلية بأن "... طبيعة الصحراء القاسية التي لا تملك الأسباب الكافية كغيـرها – مـن الأمـم – الـتي سـادها الهدوء والاستقرار وتوفرت لديها أسباب الحضارة والعمـران" . وفـي هذا النص نجد عند السيد روح الباحث العارف بأسباب ارتقاء الإنسان وتطـوره ، فهـو يطرح القضية من حيث أن العربي هو ابن بيئته ، ولكنه كان على اتصال وعلاقـة بتلك الأمم الحاضرة، ومنفتح عليها بملئ إرادته وحريته وخصوصيته ، فكان يتبادل معهـا الـتجارة والخـبرة ، إلى حـد أنه لم يذب في تلك الأمم ، بل بقى حاضراً رغم قسوة الطـبيـعة ، فهـذا مـلك الفرس (مثلاً) يختار بعض العرب لإدارة بعض أعماله ، وإلى ذلك يوضح حسن سيرة العربي وخصاله وانفتاحه بوجود الديانتين اليهودية والنصرانية ، إلى جانب الوثـنية الـتي كانت متفشية بين سكان شبه الجزيرة العربية ... وهو أخيراً يلفت ، وبنفس روحيـة الـباحث المثقف العارف ان تلك الشعوب المتحضرة كانت قد مرت بأدوار مختلفة أدركها العربي في جاهليته الثانية – كدور – .

وبهذا يختم السيد ، ليدخل في طور آخر من حياة العربي التي هي في تطور وتقدم فيسميها " حركة الإصلاح " التي هي نتاج تفاعل هذا العربي على المستويين الداخلي والخارجي.

---

* إلى هنا ، اعتمدت وإلى حد كبير على مقدمة السيد الحسني : سيرة لمصطفى ..

إلى ذلك نلاحظ ان ابن هشام يدخل في تفاصيل الحراك الاجتماعي والسياسي والديني للمجتمع العربي في الجزيرة (ابرهة مثلا) وهذا ما لم يفعله صاحب السيرة الحلبية إلا ما اختص بالنبي فقد وسّع في إسهابه مستطردا ...

أما السيد وقبل دخوله في مفاصل السيرة ، فإنه يتابع في منهجه خدمة للإشكالية التي طرحها ، فيصل إلى نتيجة مفادها أن الإنسان العربي ميال لعمل الخير، تملكه روح الجماعة (عكاظ ومواسم الحج) الهادفة للحد من الفوضى والفساد والطغيان ، ودليله على ذلك الأحلاف الي انعقدت لأجل محاربة ذلك الفساد والطغيان ، والانتصار للمظلوم ٠٠ بدءاً بحلف المطيبين وصولاً إلى حلف الفضول الذي أثنى عليه النبي (ص) ، وهدد بإحيائه حفيده الحسين(ع) شاهراً سيفه بوجه عامل معاوية على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (ص٢٥) ٠

...هذه الحادثة التي يرويها ابن هشام (م١، ص١٢٤) ، وصاحب السيرة الحلبية الذي أوضح بأن حلف الفضول هو نصرة المظلوم على ظالمه (م١ ص٢١٥) . أما السيد فإنه يدرجه تحت عنوان منفرد " بحلف الفضول " (ص ٥١) ، وذلك خدمة في الافصاح عن موضوع الإشكالية المطروحة.

إلى هذا ، فإن السيد يتقصد الإشارة سريعاً إلى تفرع البيتين الهاشمي والأموي عن جدهما عبد مناف (ص٣٠) ليعود إلى سيرة قصي ليفصح سريعاً أيضاً عن قضية جد أساسية في التكون العقيدي عند قريش خاصة ، وفي مكة والجزيرة عامة ، ألا وهي الإيمان بالله أو ما يعرف بالحنيفية ، أي الاتصال والتواصل بشكل ما مع ديانة ابراهيم(ع) . فهو يذكر قول أم قصي له : " قومك آل الله وفي حرمه ٠٠" ، ثم لا يتأخر السيد عن ذكر عودة قصي ليصبح سيد مكة ، ويؤسس فيها دار الندوة (ص٣٢) ، لكنه لم يذكر كما فعل ابن هشام – قول قصي لقريش حينما فرض عليهم الرفادة* : " يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته ، وأهل الحرم ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ٠٠" (م١، ص١٢٠) ٠

ويعود السيد مجدداً إلى إشكاليته وهدفه من البحث ، فيتحدث عن زعامة عبد مناف ، واستحكام العداء بين هاشم[1] وأمية بن عبد شمس الذي – أي أمية – خرج من مكة لبلاد الشام ... لتبقى الزعامة في بني هاشم ، والتي وصلت إلى عبد المطلب وفق سيرة أقرب بوقائعها وأحداثها من السيرة التي حصلت مع قصي ، دون الإشارة إلى خروج بني عبد شمس من حلف الفضول كما فصّل ابن هشام (م١، ص١٢٤) ٠

المهم هو أنه واستكمالاً في تحسين صورة العربي في الجزيرة والتي سيظهر فيها النبي(ص) يتابع السيد مجاهراً بمقومات زعامة عبد المطلب التي لم تتهيأ لغيره ، مفصحاً عما

---

* الرفادة : خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي ، فيصنع به طعاماً للحجاج – انظر : ابن هشام ، م١ ص ١٣٠ .

١- هاشم هو : عمرو العلاء (المعروف بهاشم بعد أن أطعم الجائعين في السنين المجدية ، وهشم لهم الثريد ، فغلب عليه هذا الوصف) بن المغيرة (المعروف بعبد مناف) ابن قصي .. راجع التفاصيل في : سيرة المصطفى ، ص٣٤ وما بعدها ٠٠

أشـــار إليه سابقاً وهو " مضى – عبد المطلب – على شريعة ابراهيم الخليل هو وجماعة من قومه..."(ص٣٦)

وعـــلى وتيــرة الأخرين يتابع السيد سيرته عن المصطفى(ص) ، لكنه يستوقفنا في الفصل الـــثاني عـــند مسألة يستنكر فيها قول المؤرخين والراوين للسنة والسيرة ، من أن محمداً قـــد رعى ، واســـتخدمته خديجـــة قبل الزواج بينهما .. معتمداً حديث الصحابي الجليل عمار بن ياســـر (ص٥٧) ، لينـــتقل بعدها بالحديث عن قصة بناء الكعبة ، وفيها يروي لتولي الرسول وضع الحجر في مكانه ، ثم ليروي متعمدا الاستطراد – خدمة لإشكاليته وهدفها – عن إعادة بنائها بعد ان هدمها الحجاج بن يوسف فيقول : " أن الذي وضع أساس بناء الكعبة هو علي بن الحســـين (ع) " . بعدهـــا يفرد السيد عنواناً آخر هو : مولد الإمام علي بن ابي طالب(ع)[1]، ليشير فيه إلى حديث الدار وولاية الأمير (ص١٢٣ وما بعدها).

ملتزماً بمنهجه مخلصاً لهدفه ، موضحاً لإشكاليته وفي خدمتها ، يعرض كاتبنا الكبير لإسلام الصحابيين الجليلين : أبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر . معرجاً على دور أبي طالب ، وإسلام الحمزة بن عبد المطلب (ص ،ص ١٢٣..١٥٩) عمي الرسول (ص) . دون الاسترسال الذي جـــاء به صاحب السيرة الحلبية والذي ذكر أحاديث هي أشد حجة وإثارة لدور ومكانة علي مع الرسول وفي الرســـالة (م١، ص، ص٤٣١... ٤٣٧) .

وهـــذا مـــا لم يفعله ابن هشام ، سوى إشارته إلى أن علي هو أول ذكر أسلم ، دون الحديث عـــن أبي ذر وعمار، وكذلك فعل صاحب السيرة الحلبية ، ولكن على غير ذلك نهج السيد كما بينا أعلاه ..

٤

ويســـافر الســـيد فـــي سيرته ، ويطوي صفحات مسيرة الرسول والرسالة العطـــرة،صفحة صـــفحة ، إلى أن يحط عند الهجرة إلى المدينة ، شارحاً ومفنداً وقاصاً لمعاناة النبي وأصحابه فـــي مكة حتى أمرهم بالهجرة .. وحين أراد الالتحاق بهم كادت له قريش كيدها ... فجاء أمـــر الله " بالخـــروج ليلاً، وأن يأمر علياً (ع) بالمبيت على فراشه .." ليؤكد السيد بأن أمر المبيت كان من الله تعالى (ص،ص ٢٤٨..٢٥٠) .

إلى ذلك يبدأ السيد برواية " قصة من أروع ما عرفه تاريخ الفداء والتضحية " – أعني قصة مـــبيت الإمام علي في فراش النبي – مبيناً دلالات هذا الموقف وشجاعته ، ثم لم يترك الباحث ســـنداً أو رواية من الروايات إلا ويذكرها ليدعم رأيه الذي قدم فيه للقصة ، خصوصاً الرواية التي جاء بها اليعقوبي في تاريخه ، وابن الأثير في أسد الغابة ، والشبلنجي في نور الأبصار، والمـــناوي فـــي كنوز الحقائق ، والغزالي في إحياء العلوم وفي فضائل الخمسة من الصحاح الستة وهي :

" أن الله سبحانه في تلك الليلة التي بات فيها علي(ع) على فراش النبي(ص) أوصى إلى ملكين من ملائكته المقربين وهما : جبريل وميكائيل : إني قضيت على أحدكما بالموت ، فأيكما يفدي صـــاحبه ، فاختـــار كـــلا منهما الحياة ، فأوصى إليهما : هلا كنتما كعلي بن أبي طالب ، لقد آخيت بيـــنه وبين محمد ، وجعلت عمر احدهما أطول من الآخر، فاختار علي الموت وآثر محمـــداً بالحيـــاة ونام في مضجعه ، اهبطا فاحفظاه من عدوه ، فهبطا يحرسانه في تلك الليلة وهـــو لا يعلم ، وجبريل يقول : " بخ بخ لك يا ابن ابي طالب ، من مثلك يباهي به الله ملائكة

١- لاحظ تحت عنوان : أول من أسلم من الرجال ويعني به علياً (ع) ، ص ١٠٩ وما بعدها خصوصاً حديث إسلام علي ..

سبع سموات "[1]، فأنزل الله عز وجل على قلب نبيه الكريم : " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد "[2].

هذه الرواية لم يأت على ذكرها ابن هشام ، وأما صاحب السيرة الحلبية فأوردها بكامله ، ولكنه ذيلها بكلام لابن تيمية[3] الذي يقول فيه : إنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير . لكن صاحب السيرة الحلبية لم يقف عند هذا الكلام بل زاد ليثبت الرواية ويؤكدها (م٢،ص،ص ١٩١.. ١٩٤) ، وكذلك فعل بالنسبة لسبب نزول الآية الكريمة بحق علي٠٠٠(نفسه ، ص ، ١٩٢) .

أما بالنسبة لاستخلاف الإمام علي بمكة ، حتى يؤدي عن الرسول الودائع لأصحابها ، فيرويها السيد وفق منهجه ، وكذلك أوردها كل من ابن هشام وصاحب السيرة الحلبية .

٥

وبنفس الروح والمنهجية والغاية والهدف ، يتابع علامتنا استعراضه لسيرة المصطفى(ص) متنقلا بين الأحداث والروايات المتعددة ، لكنه يركز على العديد منها كونها تخدم أهدافه ، فيستوقفنا مثلاً عند " زواج علي أمير المؤمنين من فاطمة الزهراء سيدة النساء (ع) " . ثم ينتقل إلى بدر الكبرى حيث يميط اللثام عن دور الإمام علي البارز فيها ، باعتبار أن ابن هشام لم يذكر إلا القليل منها[4]، وكذلك صاحب السيرة الحلبية وإن بشيء أفصح (م٢، ابتداء من ص ٣٨٢) .

ثم يروي السيد لمعارك المسلمين وغزواتهم . فيوقفنا ليذكر ولادة الإمام الحسن(ع) (ص ٣٨٢) ، ويتابع ثم يعرض لولادة الإمام الحسين(ع) (ص٤٣٩) وإن بشيء من التفصيل أكثر. ويتابع حديثه عن الغزوات ليصل إلى غزوة الخندق (ص ٤٨٣) والتي تعرف أيضاً بغزوة الأحزاب، ومن خلالا يظهر لنا السيد وبشكل جلي أهداف كتابته للسيرة وذلك من خلال تركيزه على عدة أمور أهمها :

- تركيزه أو تسليط الضوء على دور وأهمية مواقف الإمام علي في هذه الوقعة ، اذ انه لم يذكر لنا مثلاً وكما فعل صاحب السيرة الحلبية بأن الرسول أثناء حفر الخندق جاء الى عمار بن ياسر وجعل يمسح رأسه ويذكره بقوله له أثناء بناء المسجد في المدينة : " ابن سمية تقتلك الفئة الباغية " . ونجده أيضا يشير إلى ما قاله الرسول(ص) لسلمان الفارسي بعدما تنافس فيه المهاجرون والأنصار - دون أن يفصّل كما فعل ابن هشام وصاحب السيرة الحلبية - : فقال المهاجرون : سلمان منا ، وقال الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " سلمان منا أهل البيت " .

ولعلنا نفهم ما رمى إليه السيد الحسني ، ونتفهم تركيزه على دور الإمام علي من خلال إدراجه لحديث رسول الله : " لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق ، أفضل أعمال أمتي إلى يوم القيامة " ، وما قاله بعض الصحابة من أن : مبارزة علي بن ابي طالب

١- قارن بالنص الذي ورد في : السيرة الحلبية م٢ ص ١٩٢، والذي لم يورده السيد الحسني في مصادره ومراجعه.

٢- سورة البقرة / ٢٠٧ .

٣- ابن تيمية هو فقيه حنبلي اتهم في التشبيه والتجسيم ، فكان حاد العداوة للإمامية ، فهو صاحب فتوى اجتياح بلاد كسروان عام ٧٠٥هـ ، لاحظ مناظراته مع العلامة الحلي ، اطروحتنا للدكتوراه ص ١٠٦ .

٤- اقتصر كلام ابن هشام على أربع إشارات هي : أن لعلي كانت راية(العقاب) ص ١٨٦، ومبارزته للوليد بن عتبة ..ص١٩٥، وأن علي رأى الملائكة ببدر ص٢٠٠ ، وقتله لابن العاص ص٢٠٢ .

لعمــرو بــن ود يوم الخندق أفضل أعمال أمتي إلى يوم القيامة ... إلى ذلك ونجده شارحاً لهذه المواقف مسنداً لها .

هــذا وإن كان صاحب السيرة الحلبية قد ذكر حديث رسول الله : " قتل علي لعمرو بن ود أفضــل من عبادة الثقلين " (م٢ ص ٦٤٢) ، لكنه يذكر بعده رأي ابن تيمية أيضا الذي ينفي صــحة هــذا الحديث حتى ولا بسند ضعيف على حد زعم الأخير ، وهذا الأمر ينفيه صاحب السيرة الحلبية على ابن تيمية وان بحجة ضعيفة .

أمــا ابن هشام ومع أنه يظهر بطولة علي وشجاعته ، لكنه لا يأتي على ذكر حديث رسول الله (ص) بحقه أو أقوال الصحابة عن مواقفه ...(م٣، ص١٣٥) .

ويــتابع السيد برصانته المعهودة استعراضه لمفاصل سيرة المصطفى وأصحابه ولغزواتهم إلى أن يصــل إلى وقعــة خيبر كإحدى أهم مفاصل السيرة لجهة القضاء على الخطر اليهودي على الإسلام في الجزيرة العربية (ص٥٣٨) .

وقــد احسن كاتبنا في استخدام منهجيته العلمية - دون التوثيق كمأخذ - في عرضه لهذه الغــزوة وأهميــتها ، ولكنه سرعان ما يدخل إلى إشكاليته وأهدافه ، فيبدأ بتسليط الضوء على الــدور " العــلوي " الذي بات علامة بارزة في معالجة السيد الحسني للسيرة النبوية ، وها هو يســتوقفنا مــرة أخــرى ليطلعــنا على أهمية دور الإمام علي وإنجازاته في فتح خيبر أمام المســلمين ، هذا الدور الذي لم يستطع أحد أن يضطلع به حتى قال الرسول فيه بعد أن عجز عــنه الآخــرون : " والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله " وكــان صوت الرسول رفيعاً سمعه أكثر المسلمين ، فتطاولت لها قريش ، ورجا كل واحد أن يكــون صاحب الراية[١]، أو كما ذكر صاحب السيرة لحلبية " عند ذلك لم يكن من الصحابة رضــي الله عــنهم أحــد له منزلة عند النبي(ص) إلا يرجو أن يعطاها "[٢]، ولم يذكرها ابن هشــام قط .

وأضاف أيضاً صاحب السيرة الحلبية عن عمر بن الخطاب أنه قال : " ما أحببت الإمارة إلا ذلــك اليــوم ... وجعلت أنصب صدري له (ص) رجاء أن يقول هو هذا .. وســلم إلى علي "[٣]، ويتابع صاحب السيرة الحلبية بتفصيل أكثر من السيد الحسني فيذكر " أن علياً كرم الله وجهه لما بلغه مقالته (ص) : أي في خيبر ، قال " اللهم لا معطي لما منعت ، ولا مانع لما اعطيــت .. وكان أرمد شديد الرمد ، أي وكان قد تخلف في المدينة ثم لحق بالقوم ، فقيل له - أي للرســول - : أنه يشتكي من عينيه ، فقال(ص) : من يأتيني به ؟ فذهب إليه سلمة ابن الأكــوع رضى الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي(ص) قد عصب عينه ..فقال علي كرم الله وجهه : يا رسول الله إني أرمد كما ترى ، لا أبصر موضع قومي : فتفل(ص) ، وفي لفظ : بصق في عينيه ، أي بعد أن وضع رأسه في حجره ، وفي لفظ : فتفل في كفه وفتح له عيــنيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع[٤]، قال علي رضي الله عنه : فما رمدت بعد يومئذ وفي لفظ : فما رمدت ولا صدعت ، وفي لفظ : فما أشتكيتهما حتى الساعة "[٥].

١- سيرة المصطفى ، ص ٥٤٠ .

٢- السيرة الحلبية ، م٢ ص ٧٣٣ .

٣- السيرة الحلبية ، م٢ ص ٧٣٣ / ٧٣٤ .

٤- لاحظ : ابن هشام : م٢ ج ٣ ص ٢١٦ ، وسيرة المصطفى ، ص ٥٤٠ ، وأورد صاحب السيرة الحلبية عن صاحب الهمزية:

وعلى لما تفلت بعينيـــ ه وكلتاهمـــا معاً رمـــداء

فغدا ناظراً بعين عقاب في غزاة لها العقاب لواء

٥- السيرة الحلبية : م٢ ص٧٢٦

هذه التفاصيل التي ذكرها صاحب السيرة الحلبية لم يأتي على تفاصيلها السيد الحسني إلا ما قل ودل ، ولعله لم يذكرها وفاء لمنهجه وخطته كيلا يتهم بأنه بالغ في الدفاع عن آل البيت(ع).

ويتابع السيد روايته بنهوض الإمام علي بعد أن أخذ وصية الرسول ورايته وبدئه القتال يجندل ويصرع أعداءه ، ويكر بأصحابه على اليهود فيتفرقوا بين يديه ، حتى جاء قائدهم مرحب فصرعه الإمام بضربه " ... شق المظفر ورأسه نصفين حتى وصل إلى أضراسه ، وسمع أهل العسكر صوت ضربته ، ولما أبصر اليهود فارسهم مرحبا ولوا منهزمين ، واستولى المسلمون على الحصن "(١).

لم يكتف السيد بهذه الرواية التي أسندها إلى ابن كثير عن مسلمة بن الأكوع ، بل أخذ بتقديم الروايات المتعددة مبتدئاً : " بابن هشام عن ابن اسحاق بسنده إلى أبي رافع مولى رسول الله أنه قال : خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم ، فضربه رجل من اليهود بالسيف ، فاتقاه بترسه ، فوقع الترس من يده ، فتناول باباً كان عند الحصن ، وأخذه بيده مكان الترس ، ولم يزل بيده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فقد اجتمعنا ثمانية على أن نقلب ذلك الباب فلم نستطع " .(الحسيني: ص٥٤١ ، ابن هشام :م٢، ج٣،ص٢١٦) .

ويكمل السيد الرواية نقلا عن محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) : " أن علياً بعد أن أخذ الباب بيده مكان الترس ، ظل يقاتل حتى انهزم اليهود وكانوا قد حفروا خندقاً حول الحصن فجعل علي(ع) الباب الذي كان بيده قنطرة على الخندق واجتاز المسلمون عليه إلى داخل أبنية الحصن وذلك بعد أن قتل قائدهم الحارث بن أبي زينب " .

ويتابع السيد اسناده للروايات عن : ابن دحلان في سيرته ، ثم البيهقي والطبري ، وابن سعد ، وابن الأثير ، والحاكم في المستدرك ، واليعقوبي ، وأبو الفداء ، ثم يقدم ما جاء في كتاب عبد الرحمن الشرقاوي (محمد رسول الحرية) من وصف جليل ورائع ، ثم للسيد مرتضى الفيروز آبادي في كتابه (فضائل الخمسة) المجلد الثاني عن صحيحي البخاري ومسلم ، وأحمد بن حنبل ، والنسائي ، والاستيعاب ، وكنز العمال ، والرياض النضرة ، والترمذي ، وابن ماجة وغيرهم (ص.ص ٥٤٢.. ٥٤٨) .

مع كل هذا الكم من المصادر والمراجع ونلاحظ بأن السيد بقى على هدوئه ورصانته العلمية ، همه ايصال الرسالة التي هدف من ورائها كتابته لسيرة المصطفى ، ونلاحظ ذلك أبوضوح ، عندما نقارن بالوقائع التي ذكرها صاحب السيرة الحلبية ومنها مثلاً : " عن حذيفة رضي الله عنه : ولما تهيأ علي كرم الله وجهه ، يوم خيبر للحملة ، قال له رسول الله (ص): يا علي ، والذي نفسي بيده ، أن معك من لا يخذلك ، هذا جبريل عليه السلام عن يمينك ، بيده سيف ، لو ضرب الجبال لقطعها ، فاستبشر بالرضوان والجنة ، يا علي ، إنك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم " (م٢ ص ٧٣٦) . هذا ويكتفي السيد بالإشارة إلى أن صاحب السيرة الحلبية ممن أوردوا الرواية بكاملها لمن يريد التوسع والتفصيل في وقائع الحادثة وروايتها على أهميتها . بعدها يعمد السيد مجاهرا ، إلى مناقشة بعض من حاولوا التقليل من أهمية مواقف الإمام علي وأبيه والتي " لم يسبق لها نظير في تاريخ البشرية ولا ينكرها أو يشكك فيها إلا الحاقدون على الرسول وآله الكرام " (ص ٥٤٦) .

إلى ذلك ، وبالمقارنة مع السيرة الحلبية ، والتي أورد صاحبها عدة روايات حول دور ومواقف الإمام علي في معركة خيبر زادت عن العشرة ، ومنها أنه لما بلغ الجهد بالمسلمين ،

١- المفارقة هي أن ابن هشام ينسب قتل مرحب لغير الإمام علي ، وهذا ما جعل السيد يحشد العديد من الأسانيد والروايات ومنها السيرة الحلبية ، ليثبت أن الإمام هو قاتل مرحب..

وفقد أكثر زادهم " .. اشتد ذلك على رسول الله(ص) وأمسى مهموماً (م٢ ص ٧٣٢) وقال: " لأعطيـن الراية كرار غير فرار .. وكان أول من خرج منهم إليه - أي إلى الإمام علي - الحـارث أخـو مـرحب ، وكان معروفاً بالشجاعة ، فانكشف المسلمون وثبت علي كرم الله وجهـه ، فتضـاربا ، فقـتله علي وانهزم اليهود إلى الحصن ، ثم خرج إليه مرحب فحمل مـرحب عـليه ، وضـربه فطـرح ترسه من يده ، فتناول علي كرم الله وجهه باباً كان عند الحصن ، فتترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن، ثم ألقاه مـن يده ، أي وراء ظهره ثمانين شبراً ... قال الراوي : فجهدت أنا وسبعة نفر على أن نقلب ذلـك الـباب فلم نقدر ، قال بعضهم : في هذا الخبر جهالة ، وانقطاع ظاهر، قال : وقيل ولم يقدر على حمله أربعون رجلاً ، وقيل سبعون " (الحلبي :م٢ ،ص ٧٣٢وما بعدها).

وفـي رواية - يتابع صاحب السيرة الحلبية - " أن علياً كرم الله وجهه لما انتهى إلى باب الحصن ، اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض ، فاجتمع عليه بعده سبعون رجلاً ، فكان جهداً أن أعـاوده مكانه ، وقيل : حمل الباب على ظهره حتى صعد المسـلمون عليه ودخلوا الحصن " (م٢ ، ص.ص ٧٣٢ ... ٧٣٧) .

إلى هنا فإن السيد بهدوئه ورصانته كان يهدف إلى تبيان الحقيقة ، التي تظهر أهمية وقيمة دورعـلي بعـد أن أظهـر مدى أهمية الفتح على يديه والذي جهد المسلمون والصحابة على إنجـازه ، فاستخدم الروايات المسندة بإحكام ، ولم يدخل في تفاصيل التفاصيل التي تركها لمن أراد بإشارته إلى المصادر والمراجع .

لقـد اعـتمد السيد البرهنة والإسناد وللوم أحينا ، حيث عاب مثلاً على ابن هشام ومن أخذ بروايـته تجاهلهم لمواقف الإمام وتنكرهم لبعضها (الحسيني / ٥٤٤) ، وهذا ما حدا بنا على ذكـر مـا جـاء بـه صاحب السيرة الحلبية من روايات ، والذي بعد أن غاص في تفاصيل التفاصيل ، انبرى لإثبات أقواله بعد أن ذكر أقوال المشككين حين قال : " وطرق حديث الباب كلها واهية ، وفي بعضها قال الذهبي : إنه منكر . وفي الامتاع : وزعم بعضهم أن حمل علي كرم الله وجهه الباب لا أصل له ، وإنما يروى عن رعاع الناس ، وليس كذلك . ثم ذكر جملة ممن خرّجه من الحفاظ " (م٢ ص ٧٣٧)

ثم يذكر صاحب السيرة الحلبية ما جاء به ابن هشام وعابه عليه السيد الحسني ، لينكره عليه هـو الآخـر فيسند الرواية : " كجزم مسلم - بصحة الرواية - في صحيحه وتواتر الأخبار ، وقول ابن الأثير وفي الصحيح .. " الخ (م٢ ص ٧٣٨) .

٦

يختـتم السـيد السيرة عند " حجة الوداع " (ص.ص ٦٦٣.. ٦٧٢) ، التي أفرد لها فصلاً خاصـاً مبيناً فيها وحدة المسلمين مع الرسول قولاً وعملاً على أنها " حجة البلاغ " ، وموافاة علي إلى هذه الحجة[١] بعد أن كان في احدى الغزوات .. ويصل السيد إلى " غدير خم " الذي أفرد له أيضا فصلاً آخر (ص.ص ٦٧٣.. ٦٨٢) ذيله بعنوان لرواية الأسود العنسي ، وذلك سيراً على ديدنه في المنهج والهدف .. ويظهر بشكل جلي أن هم السيد في هذا الفصل اثبات حديـث الغدير ، فقد حشد له جل الأسانيد والروايات ، من ابن كثير في بدايته وبعدة روايات

١- يتفق أصحاب السير الثلاثة على ان الإمام كان في غزوة ، وطلب منه النبي موافاته إلى حجة الوداع .... .

حيث يقر بأن " حديث الغدير متواتراً ، ولا سبيل لإنكاره " . بالرغم من أن ابن كثير – والقول للسيد – قد ضعف بعض رواياته من حيث اسانيدها .

ثم يذكر السيد ممن روي الحديث بنصه كابن ماجه في صحيحه ، والحاكم في مستدرك الصحيحين بطرق مختلفة ، والسيوطي في الدر المنثور ... وأبي نعيم في حلية الأولياء ، والخطيب في تاريخه ، والنسائي في خصائصه ، وصاحب الرياض النضرة ، وابن حجر في صواعقه ، وصاحب كنز العمال ، وكذلك ابن الأثير في أسد الغابة ، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ، والطحاوي في مشكل الآثار ، والمناوي في فيض الغدير ، والهيثمي في مجمع الزوائد ... والرازي في تفسيره ، واليعقوبي في تاريخه وغيرهم (ص ٦٧٦) .

ثم يقول السيد في إحدى مقاطعه : " وقد روى حديث الغدير بكامله صاحب السيرة الحلبية ، وعقب عليه بقوله : أنه من الأحاديث الصحيحة ولا يلتفت لمن قدح في صحته كأبي داوود وأبي حاتم الرازي[1] (ص ٦٧٧) . ثم يذكر شعراً لحسان بن ثابت يصف موقف النبي من علي في ذلك اليوم الذي وقف فيه الشاعر وابن ثابت على مرتفع من الأرض وتطاول المسلمون لسماع كلامه "٠ انتهى الكلام الذي اقتبسه السيد عن السيرة الحلبية .

كل هذا الحشد من الروايات والاسانيد وظفها علامتنا في خدمة اثباته لإمامة علي بن ابي طالب ، وحقه المنصوص عليه عن النبي وأحاديثه في غير مناسبة وان كانت حجة الوداع أكثرها وضوحا ٠٠٠٠

ويختتم السيد سيرته بانتقال النبي المصطفى (ص) إلى الرفيق الأعلى ليروي للحدث من ضمن فصل خصصه بعد " غدير خم " ثم يتناول الحديث عن جيش أسامة ، ويأتي على ذكر الحوادث والمواقف التي حصلت في تلك اللحظات ، ثم يفرد فصلاً ختامياً تحت عنوان : " سقيفة بني ساعدة " ذيله بعنوان " تجهيز النبي ودفنه " ، حيث يروي السيد للمواقف التي استبعد فيها الإمام علي (ع) عن خلافة الرسول الأعظم ، حيث يوجه كلامه إلى من يعنيهم الأمر باستعراض سريع لمواقف النبي التي سعى السيد الحسني من أجلها إلى كتابة سيرة المصطفى حيث يقول : " ٠٠ وتجاهل ما قاله النبي (ص) لعلي يوم الدار: أنت أخي ووصي وخليفتي من بعدي[2]. وقوله يوم الأحزاب حينما برز لعمرو بن ود العامري : برز الإيمان كله للشرك كله[3]. وقوله في خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله[4]. وقوله في غزوة تبوك : انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي ، ولا ينبغي لي ان اذهب إلا وانت خليفتي[5]، وحديث المباهلة[6]، وقوله في غدير خم على حشد يزيد عن مائة ألف كما جاء في كثير من الروايات : من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه[7]. وحديث الثقلين[8]، وغير ذلك من أقواله الكثيرة في

١- راجع : السيرة الحلبية ، م٣ ص ٣٣٦ وما بعدها ٠٠٠ ونذكر هنا أن ابن هشام لم يأت على ذكر حديث غدير خم لا من قريب ولا من بعيد ٠٠٠ ؟!.

٢- سيرة المصطفى ، ص ١٢٦. – ابن هشام : لم يوضحه . – السيرة الحلبية ، م٢ ص ٤٦١.

٣- سيرة المصطفى ، ص ٤٨٣ . – ابن هشام : لم يأت على ذكره . – السيرة الحلبية ، م٢ ص ٦٢٨ .

٤- سيرة المصطفى ، ص ٥٣٧ . – ابن هشام : م٢ج٣ ص ٢١٦ . – السيرة الحلبية ، م٢ ص ٧٢٦ .

٥- سيرة المصطفى ، ص ٦٢٣. – ابن هشام : م٢ج٤ ص١٢٢ . – السيرة الحلبية ، م٣ ص ١٠٤ .

٦- سيرة المصطفى ، لم تفرد كروايةأو عنوان . – ابن هشام : لم يأت على ذكرها ه . – السيرة الحلبية ، م٣ ص ٢٣٦ .

٧- سيرة المصطفى ، ص ٦٧٣ . – ابن هشام : لم يأت على ذكرها ه . – السيرة الحلبية ، م٣ ص ٣٣٦ .

٨- سيرة المصطفى ، ص ٦٧٣ . – ابن هشام : لم يأت على ذكرها . – السيرة الحلبية ، م٣ ص ٣٣٦ .

مختلف المناسبات،التي اتفق عليها الرواة من السنة والشيعة،لكن أهل السقيفة لم يجدوا فيها ما يشير ولو إلى أخذ رأيه بالخلافة فضلاً عن استخلافه...[1].

٧

الخاتمة :

تأسـياً على ما تقدم ، وعلى ما جاء في سيرة المصطفى للسيد هاشم معروف الحسني نخلص إلى :

١- أن السـيد الحسـني قـد أحيا جوانب وقضايا ووقائع مهمة وأساسية من السيرة النـبوية كانت قد اغفلت أو أهملت لسبب أو لآخر ، داحضا الكثير مما أضيف أو دس بما ليس منها .

٢- لقـد خـدم السيد منهجه العلمي وهدفه أيم خدمة ، وقد اثبتت النصوص أن جهداً كبيراً قد بذل لإنجاز هذا السفر العظيم في سيرة نبينا الأعظم وآل بيته ، فهو مثلا يروي لحديث غدير خم ويشد في اثبات الإمامة التي جاء نصها في أحاديث كثيرة وعـلى وجـه الخصـوص يـوم الوقوف على الغدير ...دون إثارة الحساسية المذهبية أو العصبية .

٣- أن هـنالك ملاحظة أود أن أبديها مع عظيم تقديري واحترامي الكبير لمقام السيد وعلمه وهي :

أن السـيرة جاءت خالية من الهوامش والفهارس – الأعلام والأماكن والآيات والأحـاديث – بحسـب المنهج العلمي الحديث في التهميش والتوثيق إلا نادرا ، بحيث ضاعت الأسانيد بين النصوص ولم تفي الغرض الذي وضعت لأجله ، على عكـس مـا فعله المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين مثلاً في مراجعاته والتي كانت تدور إلى حد بعيد حول نفس المواضيع إن لم أقل الهدف ، علما أن لكل من العملين ميادينه .

٤- إنني لاحظت بعض الأخطاء المطبعية المؤثرة ، إلى جانب خلو السيرة من بعض المرويات والأحاديث التي تخدم هدف السيد مثلا : إنني لم أتمكن من قراءة حديث المباهلة ...

إلى ذلـك أعود لأكرر قولي عن أهمية عمل السيد هاشم معروف الحسني قدس الله سره وطيب ثراه ، والذي يستحق <u>التحقيق</u> لحاجتنا الملحة لهذا العمل في مكتبتنا الاسلامية والعربية ، راجيا أن يؤخذ بهذا الرأي كتوصية لمؤتمرنا الكريم وشكرا.

١- سيرة المصطفى ، ص ٧٠٥ . – ابن هشام : لم يأت على ذكرها . – السيرة الحلبية ، م٣ ص ٤٥٥ .

مختلف المناسبات،التي اتفق عليها الرواة من السنة والشيعة،لكن أهل السقيفة لم يجدوا فيها ما يشير ولو إلى أخذ رأيه بالخلافة فضلاً عن استخلافه...[1].

٧

الخاتمة :

تأسـيساً على ما تقدم ، وعلى ما جاء في سيرة المصطفى للسيد هاشم معروف الحسني نخلص إلى :

١- أن السـيد الحسـني قـد أحيا جوانب وقضايا ووقائع مهمة وأساسية من السيرة النـبوية كانت قد اغفلت أو أهملت لسبب أو لآخر ، داحضا الكثير مما أضيف أو دس بما ليس منها .

٢- لقـد خـدم السيد منهجه العلمي وهدفه أيم خدمة ، وقد اثبتت النصوص أن جهداً كبيراً قد بذل لإنجاز هذا السفر العظيم في سيرة نبينا الأعظم وآل بيته ، فهو مثلا يروي لحديث غدير خم ويشد في اثبات الإمامة التي جاء نصها في أحاديث كثيرة وعـلى وجـه الخصـوص يـوم الوقوف على الغدير ...دون إثارة الحساسية المذهبية أو العصبية .

٣- أن هـنالك ملاحظة أود أن أبديها مع عظيم تقديري واحترامي الكبير لمقام السيد وعلمه وهي :

أن السـيرة جاءت خالية من الهوامش والفهارس – الأعلام والأماكن والآيات والأحـاديث – بحسـب المنهج العلمي الحديث في التقميش والتوثيق إلا نادرا ، بحيث ضاعت الأسانيد بين النصوص ولم تفي الغرض الذي وضعت لأجله ، على عكـس مـا فعله المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين مثلاً في مراجعاته والتي كانت تدور إلى حد بعيد حول نفس المواضيع إن لم أقل الهدف ، علما أن لكل من العملين ميادينه .

٤- إنني لاحظت بعض الأخطاء المطبعية المؤثرة ، إلى جانب خلو السيرة من بعض المرويات والأحاديث التي تخدم هدف السيد مثلا : إنني لم أتمكن من قراءة حديث المباهلة ...

إلى ذلـك أعود لأكرر قولي عن أهمية عمل السيد هاشم معروف الحسني قدس الله سره وطيب ثراه ، والذي يستحق **التحقيق** لحاجتنا الملحة لهذا العمل في مكتبتنا الاسلامية والعربية ، راجيا أن يؤخذ بهذا الرأي كتوصية لمؤتمرنا الكريم وشكرا.

١- سيرة المصطفى ، ص ٧٠٥ . – ابن هشام : لم يأت على ذكرها . – السيرة الحلبية ، م٣ ص ٤٥٥ .